

الاسلوب القصصی فی القرآن و الدعوة و الارشاد - مطالعة و نقدا

The Story-Telling Style of the Quran and Preaching of Islam-A Critical Study

*الدكتور محمد أمين

**سناضياء

Abstract

Story Telling has been one of the most effective methods not in teaching only, but rather it is also the best instrument for preaching and indoctrination. Preaching Islam or "Da'awah wa Al-Irshad" is a great religious obligation as it is evident from its teachings. This object in view, Quran has very vehemently emphasized on this compulsory component of Islam as to awake the Muslims to strictly abide by the Islamic teachings and persuade the non-Muslims to embrace Islam as being the best religion. Keeping in view its importance, the Holy Quran has narrated several stories of different Prophets (AS) and other nations to make people learn from the same and improve their methods of "preaching". By reading these stories the Last Prophet (SAWS) and his companions were encouraged not to be dis-appointed from the denial of the infidels/"Mushriks" of Makkah. In this article, benefiting from the verses of the Holy Quran wherein the sacrifices and extraordinary efforts of the great preceding apostles (SA) are discussed, a detailed critical review has been presented.

Key Words: Quran, Preaching, Islam, infidels/"Mushriks, Makkah.

الدعوة والارشاد فريضة مهمة شرعية دينية تبعا لارشادات القرآن و تعليمات الاسلام، هذا هو السبب ان عددا كبيرا من المسلمين ما زالوا مشغولين بحمد الله في هذه الشعبة طول الليل و طول النهار- لا توجد قط نا حية من انحاء العالم الا و هي تكون مشغولة في اجراء الدعوة و الارشاد في حين بعد حين- الداعي الى هذا هو قول الله تعالى في كلامه المجيد:

"كنتم خدر امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر" ¹

*الأستاذ، قسم العلوم الإسلامية، جامعة ويمن مردان

**المحاضرة، قسم العلوم الإسلامية، جامعة ويمن مردان

هذه الآية تشيّر الى مكانة الدعوة والا رشاد في بيئة مسلمة و غيرها وايضا الى القيام باداء هذه الفريضة، و في مكان اخر قد وضع الله تعالى هذه النكتة بأسلوب آخر كما قال:

"و من احسن قولاً ممن دعا الى الله و عمل صالحاً و قال اننى من المسلمين" -²

فثبت ان الدعوة والارشاد عمل حسن يحبه الله و يطلب من العباد ان يقوموا به في كل حال من الاحوال، ولكن قبل ان نبحت عنها بالتفصيل لا بد ان نعرف معانيها اللغوية و المصطلحة - قد وضحت معنى "الدعوة" بمثال كما يجرى:

"دعا الرجل دعوا و دعاء: انا داه' والاسم "الدعوة" و دعوت فلانا آى صحت به و استدعيته"³

وزاد فيه الزمخشري النكتة الاخرى و قد وضحها كما يقول:

"دعاه الى الوليمة و دعاه الى القتال والنبي داعى الله و هم دعاة الحق"⁴

و هكذا اتى امام راغب بمعناها الاصلية القريبة الى الحقيقة و قال:

"الدعاء الى الشئء' اى الحث على قصده"⁵

و معناها الاخرى اللغوية هي التى ذكرها آدم الآ لورى:

"الدعوة لغة الصيحة والنداء' والدعاية مرادفة للدعوة"⁶

و صادفت خلال التفتيش قولاً آخر التى توضح معنى الدعوة والارشاد او الامر بالمعروف والنهي عن المنكر و هي التى اورد بها الشيخ على محفوظ، صاحب "هداية المرشدين" فى نفس الكتاب و يقول:

الدعوة من الدعاء الى الشئء بمعنى الحث على قصده و فى العرف حث

الناس على الخير والامر بالمعروف و لنهن عن المنكر ليفوزوا سعادة العاجل

والاجل"⁷

و قيل ان الدعوة اصطلاحاً هي:

"صرف انظار الناس و عقولهم الى عقيدة تفيدهم او مصلحة تنفعهم"⁸

و بعضهم قد اتوا بمعاني تقرب معاني العامة المستعملة عندنا آى "التبليغ"، و قال الدكتور احمد غلوش " ان "الدعوة" معناها الاصطلاحية يستعمل فى المعين التين تلى فى التحت: (1) "الابلاغ و الاشاعة" و (2) "الدين"- و مثاله اذا يقال فى حق شخص "هذا من رجال الدعوة " فتكون معناه" انه رجل يقوم بعمل ابلاغ و نشر الدين" و لو قيل: "اتبعوا دعوة الله"، فيكون معناه: "اتبعوا الاسلام- فيعرفونها حسب معناها الاولى كما يلى: "العلم الذى تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية الى تبليغ الناس الاسلام بما حوى من عقيدة و شريعة و اخلاق" ولو تستعمل "الدعوة" بمعنى دين الاسلام فتعرف كما تلى: "الدعوة الاسلامية هي الدين الذى ارتضاه الله تعالى للعلمين و انزل تعاليمه و حيا على رسول الله و حفظها فى القرآن الكريم و بينها فى السنة النبوية"⁹

و لو نضيف قليلا من الاشياء فى التعريفين الاوليين فستاخذ صورة كما تلى: "هي جذب انظار الناس و عقولهم لتبليغهم الاسلام بما حوى من عقيدة و شريعة و اخلاق و تنفعهم فى الدنيا والآخرة بالحكمة والموعظة والجدال الحسن حيث قال الله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هي احسن)-

10

الدعوة و الارشاد عمل مقبول عندالله و مطلوب من كل مسلم حسب الارشادات التى مضى ذكرها انفا- لا سيما قول الله الذى يذكر فى كل حين من الاحيان فى محافل الوعظ و النصائح الدينية بالخصوص بفئات تسمى عندنا (فى البيئات العجمية خاصة) "بجماعات تبليغية" و هي كما قال الله تعالى:

"يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله

يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الظالمين"¹¹

و ظهر منها ان اسم الثانى للدعوة والارشاد هو "ابلاغ الدين و نشره" الى الناس الذين هم لم يعلموا حتى الآن شيئا فى حق الاسلام و القرآن- و اتفقت الامة على نشر و ابلاغ الدين على رغم الاختلاف بين العلماء على كونه فرضا عينا او فرضا

كفايئا- لذلك كلما نقرأُ ُ الايات التي سبق ذكرها انفا فنحن نحث الناس على عمل الدعوة والارشاد ونقوم به بانفسنا ايضا- والسبب هو الآيات مثل:

"ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون"¹²

قد وضح الله عمل الدعوة والارشاد في مكان آخر كما يقول:

"قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا و من اتبعني"¹³

تشير هذه الآية والآيات الاخرى مثلها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم و امته و تابعيه "دعاة" و اقتضاء اتباعه هو ان كل واحد لا بد له ان يقدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة لا نفسهم في هذا العمل - كما هو و اوضح من قوله تعالى:

"لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة"¹⁴

حسب توضيح بعض العلماء، الدعوة والارشاد فرض كفاية و معناه لا بد ان يقوم بعض المسلمين الذين يعيشون في حى بآداء فريضة الدعوة في حالة اذا يكون قيام كلهم عليها مستحال- اذا فعلوا بعضهم هذا، تسقط الفريضة عن كتوف البواقى- و مع هذا قد سمي بعضهم الدعوة "سنة مؤكدة" و بعضهم "فرضا كفايئا" كما يقولون:

"ان الدعوة الى الله عز و جل فرض كفاية با لنسبة الى الاقطار التي يقوم فيها الدعوة" فان كل قطر يحتاج الى الدعوة والى النشاط فيها فهي فرض كفاية اذا قام لها من يكفى سقط وعن الباقيين ذلك الواجب و صارت الدعوة لباقيين سنة مؤكدة"¹⁵

و ما عدا ذلك قد اتفق معهم علماء مثل شيخ الحديث المولانا سر فراز خان صفدر في تعيين الدعوة و لتبليغ عملا فرضا كفاية كما و اوضح في كتابه ذخيرة الجنان في فهم القرآن-¹⁶

عندنا في باكستان الدعوة و لارشاد او قل "التبليغ" (كما يسمى عند عامة الناس) عمل مقبول عند عامة المسلمين و لكن العلماء يعبرونها بتعبيرات شتى فلذلك يجب ان اذكر اقوال بعض العلماء في هذه الناحية- جدير بالذكر ان اذكر قول المفتي الاعظم باكستان محمد شفيع في ذيل تفسير سورة العصر و هو يقول:

اس سورت میں مسلمانوں کو ایک بڑی ہدایت یہ دی کہ ان کا صرف اپنے عمل کو قرآن و سنت کے تابع کر لینا جتنا اہم اور ضروری ہے۔ اتنا ہی اہم یہ ہے کہ دوسرے مسلمانوں کو بھی ایمان و عمل صالح کی طرف بلانے کی مقدور بھر کوشش کرے ورنہ صرف اپنا عمل نجات کے لئے کافی نہ ہوگا۔ خصوصاً اپنے اہل و عیال اور احباب و متعلقین کے اعمال سیئہ (Sinful deeds) سے غفلت برتنا اپنی نجات کا راستہ بند کرنا ہے، اگرچہ خود وہ کیسے ہی اعمال صالحہ کا پابند ہو۔ اس لئے قرآن و حدیث میں ہر مسلمان پر اپنی قدرت (potentiality) کے مطابق دعوت و تبلیغ (امر بالمعروف اور نہی عن المنکر) فرض کیا گیا ہے۔ اس معاملے میں صرف عوام نہیں بلکہ بہت سے خواص تک غفلت میں مبتلا ہیں اور صرف خود ہی عمل کرنے کو کافی سمجھ بیٹھے ہیں۔¹⁷

فی هذه السورة (سورة العصر) قد امر الله المؤمنين ان يتبعوا امر الله بخاصة و هو ان قيامهم بارشادات القرآن و لسنه انفسهم وحدة لا تنفذهم من وظيفتهم لدعوة الناس الى صراط الدين، لان اتباعهم الدين بانفسهم بغير هداية المسلمين الآخر الى هذا لطريق ليس عمل مقبول۔ العمل الذى هو مقبول عند الله هو ان يقوموا بتوصية آهم اولادهم و احبابهم و متعلقهم الاخر۔ لان صرف النظر عن اعمالهم السيئة سوف تسدد صراط نجاتهم ولو كان اعمالهم كلها حسنة و مقبولة۔ لذلك فرض على كل مؤمن حسب استطاعته الدعوة و التبليغ (الامر بالمعروف و النهي عن المنكر)۔ ليس فقط عامة الناس مشغولين فى هذه الغفلة بل هناك جم غفير من اشخاص خاصة الذين هم قد وقعوا فى هذه الكسالة۔

"الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" و "الدعوة والارشاد" و "التبليغ" هذه المصطلحات الثلاثة لكلها معنا واحدا حسب اللغوية۔ و هناك كثير من الناس بحمد الله انهم يقيمون بهذه الفريضة تبعا لاحكام القرآن و ارشادات الاسلام۔ ولكن المهم فيه هو ان لا يمل المرشد او المبلغ فى فرضه من اعراض الحمقى و عامة الناس، قد وضع الله تعالى هذه النكتة فى قوله تعالى و هو يقول:

"خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجاهلین"¹⁸

الدعوة و ارشادُ العبادة المكتوبة، و هما الهدفان الكبيران لتخليق الانسان- لان الحياة الانسانية هي بصدد الخطر لو لم نلاحظ "فكرة الا مر بالمعروف و النهي عن المنكر" في حيا تنا الشعبية اليومية- لان الانسان حسب طبعه النفسى كثيرا ما ير غب بل يضطر الى عمل غير مقبول او حرام فى حين من الاحيان- كما صرح به القرآن الكريم فى سورة يوسف و يقول:

ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي لغفور رحيم-¹⁹

من المعلوم ان الانسان يجب حيا تا اجتماعية و لكن كلما تجتمع معشر كبير فى بيئة واحدة فتقع بينهم، اولا نزاعات و مناقشات عادية و لكن بمرور الزمن تشتد و تصير عداوات او حروب مهلكة لو لا يكون عند هم رجل رشيد اورجال صالحين الذين يقومون بفريضة "الامر بالمعروف والنهي عن المنكر"- هناك بعض من الناس يتركونهم على حالهم و يدعمون ان اصلاحهم هي فريضة الشرطة او الحرس الوطنى او هيئات القا نونية الشعبية الاخرى- ولكن بغير مساعدة الرجال الصالحين و اشراف البيئة و غيرهم لا يمكن للشرطة و الحدس الوطنى والهيئات القانو نية الاخرى ان يقوموا بهذا الواجب بطريقة مثلى- لذلك صرح الرسول الكريم و خاطب الناس كلهم قائلا:

"من راي منكم منكرا فاولى به يديه وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلمه و ذالك اضعف الايمان"-²⁰

وعلى الرغم هناك كثير من الناس فى بيئات مختلفة يقعون فى بدعات او يقومون باعمال منكرا ت و السبب هو ميلانهم الفطرى الى اعمال لاغية، او هم يصيرون اصيادا لا غواء الشيطان و تحريثه فيقعون فى كبائر من المعصيات او صغائرها- و قد بين القرآن هذه النكته با لصراحة حيث يوضح الاحوال فى سورة العلق- قال الله تعالى :

"كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى".²¹

قد ثبت من النصوص السابقة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر او كما يسميها الرجال الاخر "الدعوة والارشاد" او "التبليغ" كما يقال عند البعض، عمل نافع للبيئة البشرية فى كل من الاحوال- تشير ايضا الى مكانة الدعوة والارشاد فى حياتها المدنية -

لا بد ان يكون رجال المجتمع صالحين عاملين بتعليمات الدين الاسلامى انقيادا لإرشادات الاسلام- فاذا هو المرام فلا بد ان نعرف و نجد طريقة الدعوة التى تثبت احسن الطرق كلها ونعلم اركانها وعناصرها المهمة- فاركائها كما تلى:

1. الاخلاص: لا بد ان يكون الداعى الى الله مخلصا و طالب خير للمخاطب-
2. حسن الخلق: يجب للداعى الى الخير ان يتزين بحلىة الاخلاق الحسنة-
3. حكمة: الحكمة اكبر الصفات التى يحتاج اليها كل من الداعين الى الله-
4. السيطرة على فهم طبائع الناس: لا بد للداعى ان يكون مزينا بهذه الصفة-
5. اصول عدم المعارضة و المجادلة: كلما يجد المخاطبين مصرين على الاعراض و الجدل فجدير له ان يتركهم على حالهم- و لو يريد ان يقول شيئا فلا بد ان يكون مختصرا و متقنا-

تلك خلاصة بيان بعض الكتب المكتوبة بالاردية على موضوع الدعوة ولكن احتراضا من الطوالة و ضيق المكان فى هذه المقالة المختصرة لم اذكر تفاصيلها- والآن اكتفى بذكر الاسلوب القصصى كعنصر واحد فى هذا لطريق التى تفيد الداعى و المدعو سويا- لذلك اشتمل الامام شاه ولى الله الدهلوى تلك الاسلوب فى اهم اساليب القرآن- كما يقول:

"ليعلم ان معانى القرآن المنصوصة لا تخرج عن خمسة علوم:

1. علم الاحكام: وهي الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام' سواء كانت من قسم المعاملات' او من تدبير المنزل' او من السياسة المدنية' و تفصيل هذا العلم منوط بذمة الفقيه-
2. علم الجدل: و هو الحاجة مع الفرق الاربعة الضالة: من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين' و تبيان هذا العلم منوط بذمة المتكلم-
3. علم التذكير بالآء الله: و هو بيان خلق السموات و الهام العباد ما يحتاجون اليه' و بيان صفات الله الكاملة-
4. علم التذكير بايام الله: وهويان الوقائع التى احدثها الله سبحانه و تعالى من قبيل تنعيم المطيعين' و تعذيب المجرمين-

5. علم التذکیر بآلوت و ما بعده: من الحشر والنشر و الحساب و المیزان و الجنة و النار۔ و تفصیل هذه العلوم الثلاثة و ذکر الأحادیث و الآثار المتعلقة بها یرجع الی الواعظ و المذکر²²۔

بديهي من الاحالة السابقة ان العلوم الثلاثة الآخيرة المذكورة في المتن السابق هي التي تتعلق بها مقالتي- و هي الامور التي بالعموم يقوم بها الذين يدعون الناس الى الله- و في الحقيقة كلها مهمة جدا ولكن نحن في هذه المقالة نركز على النكتة الرابعة خاصة و بالثالثة والرابعة ضمنا-

توضيحا للامور المتعلقة بالدعوة و الارشاد او الامر بالمعروف و النهي عن المنكر او "التبليغ" يقول الشاه ولي الله ان "تفصیل هذه العلوم الثلاثة و ذكر الأحادیث والآثار المتعلقة بها یرجع الی الواعظ والمذکر"²³ واسلوب القرآن في بيان هذه الحقائق هو "قصصی" و يطلب السامع اذا يسمع الآيات التي فيها قد ذكرت قصة من تلك القصص ان يذكر تلك القصة للتذكير-

في اختيار اسلوب القصصی لظهور كثير من العلوم في القرآن لها سبب قوى و هو ان كثيرا من علماء النفس قد صرحوا بها و اتفقوا فيها ان الاسلوب القصصی هو الذي يجبه الاطفال والشبان و لشيب كلهم سويا لانه يجلب المخاطب الى الحق و تعليمات الاسلام جلبا سريعا نفعيا- قد ذكر الشيخ زكرياء في كتابه "فضائل الاعمال" (في الاردية) و قال: لا شك فيه ان قصص اشخاص الذين هم المقربون الى الله و خاصة جماعة الصحابة (والانبياء من قبلهم -الراقم) الكرام الذين انتخب الله لمصاحبة نبيه الكريم الذين يلزم على الكل اتباعهم' فيجب علينا ان نفتش و نتحقق تلك القصص- و ما عدا ذلك خلال ذكر مقربى الله تنزل رحمة الله- عليهم- كما صرح به رئيس الاصفياء جنيد البغدادي: ان سرد حكايات (اشخاص مقربين الى الله) هي جند من جنود الله التي تقوى قلوب تابعيهم- فسئال احد من الناس- هل عندك دليل؟ فاجاب 'نعم' 'قد قال الله تعالى:

و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك و جاءك في هذه

الحق و مو عظة و ذكرى للمؤمنين -²⁴

اذا تحققت هذه الحقيقة ان الاسلوب القصصى هو احد من الاهم الاساليب فى الدعوة والارشاد ولها مكانة عليا فى الترغيب والترهيب فيلزم ان نذكر بعض القصص المهمة التى ذكرت فى القرآن- بعضها تبين احوال انبياء و بعض الاخر تبين احوال الشعوب- فلو مرة نجد فيها ذكر ابتلاءات التى صادفها نبى من الانبياء فمرة ثانية نقرأ فيها الحوادث التى قابل شعبه وهكذا تذكر مرة الانعمة التى نزلت عليه و على قومه-

لو نمضى حسب التاريخ فى ترتيبه فذكر القرآن اولا قصة آدم و تخليقه من الطين- و ايضا ذكر سجدة الملائكة اليه و رفض الشيطان ان يسجد و بعدها ذكر تخليق حوا عليها السلام - وارتفاعهما الى الجنة و آخيرا نزولهما الى الدنيا (الارض) و ذكر القرآن الوقائع من حياتهما والمهم فيها هي تذكرة قصة هايبل و قاييل -و لكن مع هذا كله ما وقع فى تلك الاحوال شئى قط الذى تتعلق بالذمة والارشاد او الامر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا نه ما كان يوجد خلق كبير يتبعون صراط الطاغوت فى تلك الوقت فلذلك ما كان هناك هذا لعمل اجباريا فى تلك الايام-

فى كتاب الله قصص عديدة تذكر فيها احوال كثيرة من الانبياء و لكن المطلوب ههنا قصص الانبياء الذين كانوا يقومون بوظائف ابلاغ الدين الى اممهم و غيرهم- فلا جرم نحن نكتب ههنا احوال الانبياء الذين تحملوا مصاعب و مشاكل طول حياتهم فى نشر الدين و اشاعته و تبليغه الى الناس- والذين كانوا مشغولين فى الامر بالمعروف و النهى عن المنكر و قد حذروا اقوامهم من عذاب الله فى الدنيا والآخرة - فى تلك الانبياء اسم واحد لنبى الله نوح عليه السلام ايضا اذ قام بوظيفته لمدة مديدة و لكن لم تتغير احوالهم الا قليل منهم- كما بين القرآن القصة فى سورة هود وقال:

" و لقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين! ان لا تعبدوا الا الله انى

اخاف عليكم عذاب يوم اليم-"²⁵

و فى حياته الآخيرة ازعج قومه النبى الله نوحا الى حد انه دعا عليهم فدمرهم الله تدميرا- اذ قال:

" و قال نوح رب لا تذر على الارض ديارا"-²⁶

هكذا وقعت الواقعة المشهورة المهمة التي ذكر فيها ان قومه قد غرقوا في الطوفان و صارت عبرة لكل الناس-

ولكن كلما نمضى الى القدام و نقرأ القرآن فنعلم الحوادث و المصائب التي صادفت كثيرا من الانبياء مثل: سيدنا ادريس ' سيدنا شعيب ' سيدنا موسى ' سيدنا هود ' سيدنا يعقوب و سيدنا يوسف عليهم صلوات الله و تسليماته- يشرق علينا ههنا ان الله قد امتحن ابراهيم بكلمات خاصة بذاته عليه السلام و لذلك جعله الله اماما للناس- كما ورد في القرآن:

و اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن ، قال انى جا علك للناس اماما، قال
و من ذريتي، قال لا ينال عهدى الظالمين و تلك حججتنا ءا تيناها ابراهيم
على قومه ، نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ط . "27

واذا نقرأ قصة ابراهيم عليه السلام كاملة في سورة الانعام حيث تذكر فيها محادثته مع ابيه آزر و يقول: و اذ قال ابراهيم لا بيه آزر اتخذ اصناما آلهة انى ارايك و قومك فى ضلال مبين وكذا لك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض و ليكون من الموقنين- فلما جن عليه الليل رأى كواكباً قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين- فلما رأى القمر با زغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدنى ربي لا كونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر، فلما افلت قال يقوم انى برىء مما تشركون' انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا و ما انا من المشركين- و حاجه قومه قال اتحاجونى فى الله و قد هدانى و لا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شئى علما افلا تذكرون- و كيف اخاف ما اشركتم با لله مما لم ينزل به عليكم سلطانا فإى الفريقين احق با لامن ان كنتم تعلمون- الذين امنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم آولاءك لهم الامن وهم مهتدون- وتلك حججتنا اتينها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم -"28

والابتلاء المهمة فى حياة ابراهيم عليه السلام هى كانت المحادثة مع ملك نفس الزمن: "النمرود" اذا قابل ه ابراهيم عليه السلام فأتى با مثال رائعة و متنوعة اذ كان يصف قدرة الله امامه- و قد ذكر القرآن الكريم تلك القصة كما تلى فى التحت:

"لم ترى الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان اتاة الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيى ويميت قال انا احى و اميت قال ابراهيم فان الله ياتى با لشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر و الله لا يهدى القوم الظالمين"-²⁹

فى ذيل تفسير نفس هذه الآيات الكريمة يقول صاحب تفسير القرآن الكريم (فى اللغة البشتوية):

بره دا وئيلے شو وو چى د مو منانو الله مر ستيال او مددگار دے او هغه ئے د تيارونه رنده ته راو باسى- او د كا فرانو مددگارن طاغوتيان دى او هغه د رنژا نه تيارو ته را كاگى- اوس ددے په تفصيل كسى د مثال په طور درے واقعے (د ابراهيم على ه السلام او د نمرود واقعے، او د ابراهيم على ه السلام د حلورو مرغو حلالول او بيا جوندى كيدو واقعے- الراقم) پيش كيگى- په اولنى مثال كسى چى كوم سړى (نمرود) خپلے واگے د طاغوت په لاس كبنى وركړے وے نو هغه د حق د واضح كيدو نه وروستو هم رنژا ته را نغے او په تيارو كسى پاتے شو-³⁰

(ترجمة العبارة) قد قيل فيما سبق فى الفوق ان الله هو معين المؤمنين وناصرهم و هو الذى يخرجهم من الظلمات الى النور وناصر الكافرين هو الطاغوت التى تخرجهم من النور الى الظلمات ففى توضيحها و تفصيلها تقدم هذه الواقعة على سبيل المثال (ويقول) انه لم يزل هذا الرجل (نمرود) قائما فى هذه الظلمات و لم يخرج منها رغم وضوح الحق و الحقيقة عليه"

وبعد مرور زمن طويل و جرى الامور حسب مقتضيات الاحوال مضوا كثير من الانبياء فى اولاد و حفاد ابراهيم عليه السلام فجاء بعده نبينا يعقوب عليه السلام - كان يرشد اولاده و احفاده على نفس الطريقة- قد ذكر القرآن حاله و يقول: ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى- قالوا نعبد الهك و اله آباءك ابراهيم و اسمعيل و اسحاق الهما و حدا و نحن له مسلمون³¹

هذا بديهي من تقديم هذه القصص ان الله يريد ان يحث النبي الكريم محمد ﷺ واصحابه على ابلاغ الدين و اقامة نظام "الامر بالمعروف و النهي عن المنكر" كما ادم به اجدادهم ابراهيم' اسماعيل، اسحاق و يعقوب عليهم السلام على رغم تلك الاحوال الصعبة- كما هو منقول ان نمرود القى النبي ابراهيم عليه السلام في النار يو ما انتقاما لما فعل هو باصنامه و لكن لم يمنع من عمله الحق اى الدعوة والارشاد- و مازال يدعوه الى الطريقة المثلى- فالله يريد ان يعز و يشجع النبي محمد و اصحابه كي لا يخافوا من الكفار و يدعوهم الى النور (الاسلام) و ينهوهم عن عبادة الاصنام و اعمال شركية اخرى طول حياتهم-

و جدير بالذكر ان القرآن لم يكتف بقصص ابراهيم وآله الخاصة عليهم السلام بل اتى با مثلة و قصص اخرى وايضا ذكر فيها معجزات الانبياء الذين مضوا فيما بعد زمن ابراهيم عليه السلام- منهم نبي الله ادريس' و داؤد، و سليمان، و شعيب، و صالح، و لوط، و هود، و يحيى، و يونس، و موسى، و عيسى عليهم السلام (و غيرهم)- و فى الحقيقة امتحن الله كلا منهم بابتلاءات عجيبة و شديدة- و مع هذا كله ما زالوا كلهم آمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر فى اسوأ حال من الاحوال-

لا جرم اذا نظرنا الى كل القصص الاتى ذكرت فى القرآن الكريم نجد فيها بعد قصة ابراهيم قصة موسى عليه السلام قصة مدحشة- كما قابل ابراهيم ملكا مشركا و ظلما (نمرود) فهكذا قابل موسى عليه السلام مصاعب شديدة فى ابلاغ الدين الى ملك جبار "فرعون"- مرارا ذهب موسى الى فرعون مع اخيه هارون و دعاه الى دين الله و لكنه طلب منه معجزات واعمالا تشبه "خرق عادة"- فلم يعرض موسى عليه السلام منه بل قابل ساحريه فى ديوان فرعون حتى فشلوا و قام موسى نا جحا و لكن مع هذا لم يقبل الفرعون الدين- حتى اغرقه الله مع عساكره و حواريه حيث ذكر الله هذه القصة و يقول: "و اذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم و اغرقنا آل فرعون و انتم تنظرون"

32

كانت مشاكل و ابتلاءات موسى كثيرة جدا- ولو كان هو يزاحم الفرعون الى جانب فالى جانب آخر هو كان يجادل شعبه ايضا لانهم كانوا يطلبون منه نعما و حياتا

سہلۃ علی کل حال۔ والی جانب اخر كانوا يكفرون بآيات الله لو آمنوا يوما على الله فيكفرون يوما آخر۔ فی يوم من الايام طلبوا من موسى ان يذهب بهم الى جبل الطور كى يشاهدوا الله ظاهرا۔ لانهم يزعمون انهم ابناء الله و احبائه۔ وهكذا كانوا يخطئون فى كل عمل من الاعمال۔

القرآن ليس كتاب القصص اولا ساطير كما زعم كفار مكة، بل هو يذكرها للعبرة والنصيحة۔ كما ورد فيه: "لقد كان فى قصصهم عبرة لا ولى الباب"۔³³ معناه ان قصص الاقوام البادية هي تذكاري و كشف محققان للتاريخ و شهادة الزمن۔ كى نعلم منه حيث ما هي اسباب الرقى و التنزل للشعوب الشتى القديمة۔ وا يضا كى يعتبر مخاطبوا القرآن نصيحة و عبرة ان قصص الاقوام القديمة كانت وسيلة التسلية و التشفى لان الدعوة و الارشاد والمصادفات التى قابلت النبى ﷺ و اصحابه فى هذا الميدان ليست و قوعة واحدة، بل تقع هكذا الحوادث فى عالمنا هذا منذ زمن قديم۔ كما شاهد بما الله فى كتابه:

(ام حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما يا تكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البائس و الضراء و زلزلوا حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه ' متى نصر الله الآن نصرنا لله قريب) ³⁴۔ فظهر منها ان لا بد للمبلغ و المرشد او لداعى الى الله ان يركز على القصص القرآنية تركيزا خاصة۔ و هكذا ينبغي ان يستفيد من الامثال القرآنية خلال عمل الدعوة۔ لان الله تعالى لم يترك الناس بو حدهم بل علمهم امثلة عديدة كى ياخذوا النصيحة۔ و يتزينوا بالحكمة و المو عظه الحسنة۔ فيقول الله تعالى:

و لقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون۔³⁵

او كما قال:

تلك الامثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون۔³⁶

وهنا جدير بالذكر ان الله اتى بقصص امم و شعوب طافية التى قد هلكوا لاجل عدم انقيادهم لا احكام الله تعالى۔ كما هناك قصة اخرى مشهورة تسمى بقصة "يوم السبت" (قصة بنى اسرائيل لذين جعلهم الله قردة خاسئين بسبب طغيانهم) و هكذا قصة قوم صالح و ناقته و قصة قوم لوط، و هود عليهم السلام۔ و على هذا السبيل اتى

بقصة امة نبينا شعيب عليه السلام التي ذكر فيها الاطفاف في الاوزان و بعدها ذكر في القرآن قصة "ابره بن اشرم"الملك الجابر الذي اتى بعساكره لتد مير الكعبه و لكن لم ينجح و اهلكه الله امام عيون الناس- و هكذا قد استنبط العلماء من تلك الاساليب القرآنية مسائل شتى مو صين الداعيين ان يلا حظوا النكات الثلاثة التالية:

(1) الحكمة (2) المو عظة الحسنه (3) الجدل الحسن

و هناك كثير من الناس هم ما زالوا مشغولين في اعمال التبليغ فعليهم ان لا يقصروا الدين فقط في هذا العمل- في هذه الدنيا طرق شتى التي نقدر ان نخدم الدين و نصلح اعمال الناس- فا لمسلمون الذين هم مشغولون في طلب العلم الديني او نشر العلم او قيام الدين بطرق اخرى غير الذي طريقته معروفه عندنا' فعلينا ان لا نختقر عملهم او ان نظنهم ادنى من الناس الذين هم يبذلون امتعتهم الما لية و الصحية في الدعوة والارشاد كلية-

والنكته الاخرى التي يجب ملا حظتها علينا حين نخرج للدعوة و لارشادهي الصبر و لتحمل و عدم الاكراه في التعامل بالدين- علينا ان ندعو الناس بالرفق و الحكمة و حسن المجا دلة(الكلام)

لو نتعامل بهذا لطريق سوف ننجح في جلب الناس الى الدين وسوف تصير البيئه كلها صالحه و سليمة.

الحواشي

¹ آل عمران: 11

² فصلت: 33

³ لسان العرب-ج:41 ماده"دعا" ص: 258

⁴ زمخشري علامة: اساس البلاغة'ص:131

⁵ اصفهاني راغب علامه: مفردات القرآن:ص: 70

⁶ الالورى عبدالله آدم: تاريخ الدعوة الى الله بين الامس و اليوم-ص:17

⁷ محفوظ على شيخ' هداية المر شدين:14

- 8 الالوری عبدالله آدم: تاریخ الدعوة الى الله بين الامس واليوم- ص: 17
- 9 غلوش احمد آدكتور، الدعوة للاسلامية اصولها و وسائلها- ص: 10-12
- 10 النحل: 125
- 11 المآئده: 67
- 12 آل عمران: 104
- 13 الاعراف: 199
- 14 يوسف: 53
- 15 صحيح مسلم: ج 1 حديث 87، ص: 69
- 16 العلق: 6-7
- 17 محمد شفيع شيخ الحديث مفتي اعظم باكستان، "تفسير معارف القرآن" ج 8- ص: 814
- 18 الاعراف: 199-
- 19 يوسف: 53
- 20 امام مسلم "صحيح مسلم" ج 1 حديث: 87-ص: 69-
- 21 العلق: 6-7-
- 22 ولى الله، شاه امام الدهلوي "الفوز الكبير" ص-16-17-
- 23 ايضا: ص: 17-16
- 24 هود: 119-
- 25 هود: 25-26
- 26 نوح: 26-
- 27 البقرة: 124-
- 28 الانعام: 74-83
- 29 البقرة: 258-
- 30 پروفيسر شفيق الرحمان: "القرآن الكريم" مكتبة الهدى فواره ماركيٹ نيواڈہ، مردان، الطبع الثاني: 2004 ج 1-ص: 104-105-
- 31 البقره: 133-
- 32 البقره: 50-
- 33 يوسف: 111-
- 34 البقره: 214-

35 الزمر: 27-

36 الحشر: 21-